# السلطة في الفلسفة الفوضوية

أ.م.د.حنان علي عواضه
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة
Hanan.awada@yahoo.com

تاريخ الاستلام : ٢٠١٩/١٢/٧

تاريخ القبول : ٢٠٢٠/١/٢١

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

**الملخص :**

يدور البحث حول السلطة السياسية والحكم عموماً في الفلسفة الفوضويّة.وأبرز الفوضويين باكونين، وبرودون، وكروبتكين وغيرهم.وهؤلاء ضحوا بكل شيء في حياتهم،من أجل الحصول على الحرية.لأنهم يرون أنَّ كل سلطةٍ مهما كانت هي بمثابة كبت للحريّة وتتطلب مقاومتها.وكان أسلوبهم في ذلك هو العنف الثوري ضدّ رموز السلطات. وأيُّ سلطةٍ كانت وإن كان مصدرها الإنتخاب، فهي لا تخدم سوى مصلحة الأقليّة المستغلةِ على حساب مصالح الأغلبيّة المستعبدةَ .

**الكلمات المفتاحية: السلطة،الحرية،الدولة،الإنسان،الفلسفة،الفوضوية.**

# Authority in anarchist philosophy

**.Assistant professor.Dr**
**Hanan Ali Awada**
**University of Baghdad/College of Arts / Department of Philosophy**
**Hanan.awada@yahoo.com**

## Abstract

The research revolves around the ideas of anarchist philosophy in political Authority and governance in general.The most prominent anarchists are Bakunin, proudhon, Kruptkin,etc.They sacrificed everything in their lives in order to obtain freedom. Because they saw that every authority,whatever it is, is a suppression of freedom which requires resistance.Their style was revolutionary violence against the symbols of authorities.Any authority, although originating from the election,serves only the interests of the exploited minority at the expense of the interests of the enslaved majority.

**Key words: Anarchism, Authority, freedom, Human, philosophy, State.**

**المقدمة:**

يُعدُّ موضوع "الفلسفة الفوضويّة" من الموضوعات الهامة في ميدان الفلسفة والسياسة ، ويمكن القول أنّ الهدف الأساس للفوضويّة ذو معانٍ أخلاقيّةٍ وإخلاصٍ وفداءٍ من أجل المبدأ، وهو البحث عن حريّة المجتمع الإنساني جمعاء.

لقد قمنا بعرض أفكار الفوضوية وطريقتهم الثورية بموضوعية Objecyivity،وتم اختيار هذا الموضوع لافتقار الدراسات الأكاديمية المحيطة بنا. كما أردنا من طرح هذا الموضوع أن نبين أنَّ الفكر الفوضوي،وخاصة اللاسلطوي ليس كله شراً أو عنفاً، صحيح أن الأسلوب المتبع عندهم هو الأسلوب العنفي،إلا أن هدفهم ينصب في مصلحة الإنسان والمجتمع.

ويعد برودون Proudhon(١٨٠٩–١٨٦٥)من الفوضويين الذين رفضوا الدولة، أما تولستوي فلم يرفضها تماماً، بينما باكونين Bakyunin (١٨١٤–١٨٧٦) وكروبتكين Kropotkin (١٨٤٢–١٩٢١)فقد كانت الدولة بالنسبة لهما أكبر عدوَّ يجب أن يختفي من الوجود. فأول مبادئ الفوضويّة العداء للدولة، وتتركز على أساس أن الدولة تسيطر على الفرد، ولها كامل السلطة عليه، كما أنها صاحبة الأرض التي ولد عليها الناس ولا ينازعها أحد على ملكها.

في الزمن المعاصر اتسع مجال الفلسفة الفوضوية في مجال السياسة في زمن العولمة، وهذا ما هيأ الأفكار لأدارة المجتمع دون دولة فصارت تكتسب أهميّة من جديد فالحديث عن الشبكات الدوليّة، والمجتمع المدني والإدارة الذاتيّة، كل هذه وغيرها من التطوّرات تستدعي أفكاراً فوضويّة،وأصبح هناك اهتمام في الفوضويّة، وفي إدارة المجتمع دون دولة.

وتعد الفلسفة الفوضويّة جانباً هاماً من فلسفة السياسة والسلطة، فجميع أفكار أفرادها أغنت الفكر الفلسفي السياسي بشكلٍ كبيرٍ،وما كان دورنا سوى إظهار أفكار هؤلاء، وسوف نعمل على تبيان الإختلاف فيما بينهم، فكل فوضوي له أسلوبه الخاص للقضاء على السلطة في الفترة التي عاشوا فيها.

**المشكلة:**يوجد مفهوم شائع عن الفلسفة السياسية الفوضويّة أنها ذات أيديولوجيّة تخريبيّة فحسب،ولا تملك أي فكر من أجل المجتمع وإصلاحه،وهذا البحث يبيّن أن الفوضويّة لها فلسفتها الخاصة التي تسعى إلى تسليم الناس لمصيرها والمتمثلة بالحريّة قبل كل شيء، وفي رأيهم لا يتم ذلك إلا بالتخلص من القيادات الرئيسة للأنظمة في ذلك الوقت.

**المنهجية:**إتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي للأفكار التي اعتمدها الفوضويّون، واعتمدنا المنهج المقارن بين أفكار باكونين وبرودون مع ماركسMarx(1818–1883)،وكذلك المنهج المقارن بين الفوضويّة وروسو Rousseau(١٧١٢–١٧٧٨).

**الفوضوية وأبرز تياراتّها:**

أ- **الفوضوية Anarchism**: تعني دون رئيس، دون سلطة، وهي تيار إجتماعي سياسي، ضد سلطة الدولة، وضد جميع تنظيمات المجتمع السياسية، ظهر مذهب الفوضوية في أواسط القرن التاسع عشر. والفوضويون يرفضون الإنضباط ،والتنظيم، البروليتاري.(سلوم،١٩٨٦،ص 364) (Salloum,1986,p364) والفوضويّة في الأصل اليوناني Anarchos وتعني"بدون حاكم"،وظهر هذا المصطلح في الزمن الحديث أثناء الثورة الفرنسيّة ١٧٨٩.كما أنها استخدمت بصورة واسعة عند أعضاء الفوضويّة، ومنهم برودون إذ استخدمه عام ١٨٤٠ في كتابه ما الملكيّة ؟ورأى أن الإنسان يبحث عن العدالة والمساواة والمجتمع،كما أنه يبحث عن النظام داخل الفوضى.

أمّا عند باكونين فالفوضويّة تعني تدمير السلطة وجميع مؤسسات الدّولة، لأن الدّولة عنده هي أساس الصّراع والظلم والإستغلال. وهو صاحب نظريّةٍ شاملةٍ من أجل تحقيق الإشتراكيّة،وهي التي أصبحت معروفة باسم النظريّة أو الفلسفة الفوضوية.كما أن الفوضويّة مذهب نادى،بإلغاء الرقابة السياسيّة على المجتمع.(وهبة، ١٩٧٩ ،ص٣١٩) (Wehbe,1979,p319)

إذاً فجذور الفوضويّة تعود إلى الثورة الفرنسيّة – بينّا سابقاً – التي ساعدت على المطالبة بحقوق الإنسان من: مساواة، وحريّة،وأمان،وملكيّة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لها جذور تعود للماركسيّة،وهي أقرب إليها من الناحية الروحيّة،على الرغم من الإختلاف الذي حصل بينهما مع مرور الزمن.(أرفون،١٩٨٣،ص ١٤-١٥) (Arvon,1983,p14-15)

لم تخرج الفوضويّة عن طبيعة العصر العامّة، ومن الناحية الأيديولوجيّة البحتة تتخذ الفوضويّة طابع الضرورة المنطقيّة، مما لا تكتسبه نظريّاتُ وعقائدُ كثيرة تبدو متأقلمة مع تطوّر القرن التاسع عشر.(أرفون، ١٩٨٣،ص١٠) (Arvon,1983,p10) وبما أن الفوضويّة نظريّة سياسيّة فهي تؤمن بالتعاون الحر بين الأفراد والجماعات في المجتمع ،والدّولة في نظرها هي العدو الأكبر لأفراد المجتمع، لذلك يجب العمل على إزالتها وتدميرها.(أرفون، ١٩٨٣،ص٥) (Arvon,1983,p5)

والفلسفة الفوضوية هي المبدأ الذي يدعو عملياً إلى إنكار سلطة الدولة وتدميرها، أو أية سلطة قهرية. وظهرت الفوضوية في الوقت الذي ظهرت فيه الإشتراكية تقريباً، واختلفت معها إختلافاً شديداً. من هنا يمكن القول أن الفوضويّة تركت أثراً طوال القرن العشرين، فقد تأثر فيها كل من الطلبة والمثقفين، وكل إنسان كان معادٍ للنظام الرأسمالي،فقد كان الجميع يطالبون بالتخلّص من تسلط هذا النظام.

**بـــ - تيارات الفوضوية:**

١- **التيارالأول:** وأبرز رواده تولستوي Tolstoy(١٨٢٨-١٩١٠)،مفكرُ وأديبُ روسيُ. يقف تولستوي ضد جميع أشكال الحكم، وكتب أعنف الجمل عن الدولة. فهو يلعن الحكم بقسوة، لضرره على الحاكم والمحكوم معاً، كما إرادة القوة، الملازمة لكل دولة.وتسمّى بالفوضويّة المسيحيّة (أرفون،١٩٨٣،ص٦٥)(Arvon,1983,p65)

٢- **التيار الثاني:**أبرز قادته برودونProudhon (١٨٠٩-١٨٦٥)،وباكونين Bakunin ،وكروبتكين Kropotkin . والفوضويّة الإشتراكيّة تختلف عن الفوضويّة الفرديّة، وبخاصة في بناء المجتمع، فالفوضويّة الشّيوعيّة تفرض الملكيّة المشتركة، وهي بذلك قد رضخت لعدوى الإشتراكيّة، على الرغم من أنها النقيض لها.

٣- **التيّار الثالث :** وأبرز رواده وليم جودين William Godwin (١٧٥٦-١٨٣٦)،وماكس شتيرنرM.Stikner(١٨٠٦- ١٨٥٦).ومن مميّزات الفوضويّة الفرديّة أنها تساند الملكيّة الخاصّة في شكل مخفف، كما أنها تدافع عن الأنا،ويسمّى التّيّار الفردي.(أرفون،1983،ص٧٠-٧١) (Arvon,1983,p70-71)

و القرن التاسع عشر هو القرن الذي ظهرت فيه بدايات الشعور بالتمييز بين إنسان يملك كل شيء من سلطةٍ ومال، في مقابل إنسان لا يملك أي شيء. لذلك كانت الفوضويّة حسب ما وصفت، أشبه بالعلاج للمجتمعات الأوروبيّة. فالفوضوية انتشرت في جميع البلدان الأوروبيّة بشكل سريعٍ ومرعبٍ.وحدثت أعمال فوضويّة عنيفة من إغتيالات في العديد من الدول مثل إيطاليا، وإسبانيا، وروسيا، وغيرها.إلا أننا سوف نركز في هذا البحث على الشخصيّات الفوضويّة غير المسالمة في التغيير للسلطة، الشخصيّات التي تدعو إلى العنف للقضاء على أي سلطة دكتاتوريّة وغير دكتاتوريّة.

## باكونين الإيمان بالحريّة:

ميشال باكونين (١٨١٤-١٨٧٦)، ثوريٌّ روسيٌّ، من منظري" الفوضوية "، كان تخيّرياً في الفلسفة. من مؤلفاته الأساسية: "الدولة والفوضى" ،"والفيدرالية والاشتراكية واللاهوتية"، "والانتصار على الخبز" ،"والسلطوية واللاسلطوية ".

وليس صحيحاً كما يقال عن الفوضوية أنها لا تتفق مع النظام، أو تريد إبطاله كما أنها لا تدعو إلى مجتمع لا أثر للنظام فيه. بل الفوضوية في حد ذاتها تلغي أي نوع من أنواع التسلط وتقارنه بالعنف.(العقاد، ١٩٧٢،ص٩٢) (Akkad,1972,p92)

واستطاعت الفوضوية عن طريق العنف أن تهزّ أوروبا وروسيا، وقد وجدت لها أنصاراً من المفكرين. والفوضويون لا يرضون حتى بالديمقراطية على النمط الأوروبي، لأنها لا تعني إلا تسلط مجموعةٍ صغيرةٍ تلغي الشعب ، أو الناس كلهم،أي خضوعُ الأكثرية للأقلية البرلمانية، فالديمقراطية عندهم ليست أفضل من أنواع الحكومات السلطوية الأخرى.

"بنى أنصار المذهب الفوضوي معتقداتهم وآراءهم...على أساس الإيمان بالعناصر الطيبة، والعقل السليم عند الإنسان، وهم اعتقدوا أن في الإمكان الاحتفاظ بالنظام والقانون داخل المجتمع الإنساني دون وجوب استخدام القوة التي تفرضها الدولة. وأمن الفوضويون أن في المقدرة إلغاء الملكية الفردية ووسائل الإنتاج [means of production ] الخاصة وإحلال الملكية الجماعية محلها".(بحري،1967،ص١٤٩) (Bahri,1967,p149)

من هنا فقد دعا باكونين إلى إلغاء الزواج والأسرة وغير ذلك من الأمور. ونجد أنَّ هناك تشابهاً بينه وبين أفكار أفلاطون Plato(347–427ق.م) في محاورة الجمهورية الذي رسم فيها معالم حياة المواطنين في الدولة. وكما هو معروف أن أفلاطون قال أن تربية الأطفال تكون على عاتق الدولة،وكان أيضاً ضدّ الديمقراطية، وكذلك فعل الفوضويّون.ولكن السؤال هل نجح أفلاطون بتطبيق أفكاره على أرض الواقع حتى يأتي الفوضويّون ومنهم باكونين ويتبنون أفكاره.

و إلى جانب تأثر باكونين بـــأفلاطون ، كان قد تأثر أيضاً بـــهيجل Hegel (١٧٧٠–١٨٣١) وكانط Kant(1724–1804)وكذلك تأثر بـــفخته (١٧٦٢–١٨١٤).كما أن باكونين كان يحلل ويفسّر أفكار هيجل، أي أن كل ما هو واقعيٌ(حقيقيٌ)معقول، وكل ما هو معقول واقعي بروح محافظة.(لوسكي، ٢٠١٧ ،ص٧٨) (Lusky,2017,p78)

دعا الفوضويون دعوا إلى التحرر العقلي، وكان باكونين قد أكّد على ذلك، إذ رأى أن التحرر العقلي للإنسان لا يكمن إلا في النزعة الإلحادية والماديّة، وذلك فقط عن طريق إلغاء الملكية الخاصةcancellation of private ownership، وكذلك التحرر الإجتماعي والإقتصادي الذي يأتي عن طريق الوراثة. وكان يدعو إلى توزيع أراضي الدولة على جماعات الفلاحين. وتوزيع المصانع ورؤوس الأموال على العمال. فالأحرار الحقيقيون عنده لا يحتاجون إلى قوة الدولة، فالأحرار تتساند فيما بينها، في هذا التساند يظهر تقدمهم وتحررهم من قيد الحكام والدولة. ويعبّر عن ذلك بقوله أن(الكل الإجتماعي)هو التحالف الحر بين جماعات حرّة. (لوسكي،٢٠١٧ ،ص٧٩) (Lusky,2017,p79)

إذن الفوضويّة مثلها مثل أي تيار فلسفي معاصر،كان أعضائها يؤمنون بـــالحريّة Freedom، والسبب في ذلك على ما يبدو أنَّ المجتمعات الأوروبيّة في تلك الفترة – زمن الفوضويين – وغيرها من الأزمنة، كانت مجتمعات تفتقر إلى الحريّة، وكانت السمة الغالبة على الحكم للشعوب هي سمة الدكتاتوريّة .وكان الفوضويّون يضحون بحياتهم في سبيل إيمانهم بالحرية،الحريّة التي كان باكونين قد اعتقد بها، أنها سوف تتحقق يوماً ما، على يد الجماهير الّذين سوف يطيحون بجميع الأوثان التي تسيطر على السلطة، وتأسيس عالم جديد تكون فيه الإنسانية جمعاء موحّدة.(سعيد،2006:ص٧٢) (Said,2006:p72)

ولا تنكر الفوضوية عمل الهيئات التي تتولى الأعمال العامة، والمشاركة، والمشاورة ، بل تعترف بوجود هيئاتٍ تعليميةٍ، وصحيةٍ لإدارة المصانع ،أو لتوزيع، وتقسيم المطالب، والحاجات التي يحتاجها المواطن. إلاَّ أنهَّ في العمل الثوري رفض باكونين المهادنة مع السلطويين ويرى أنَّ الثورة عملُ شعبيُ تلقائيُ ينبعث من وعي الجماهير.وإنَّ الثورة لاتكون إلا في العنف violence ولا مجال في ممارستها لأية مفاوضات، أو مهادنةٍ.(سعد،١٩٩٠:ص٢٦٩) (Saad,1990,p296)

واعتقد الباكونيّون أنَّ فئة الفلاحين في روسيا هم الأقدر على الاستعداد للإنتفاضة، والتمرد الفوري في المجتمع، إذ يملكون روح المغامرة، لذلك كانت الباكونيّة أحد الينابيع الفكرية التي استمد منها الشعب ثورتهم وتمردهم.(بونامايوف،د.ت:١٦٧) (Bonamayov,n.d:167) ففي الاقتصاد ــ مثلاً ــ نجد أن بانكونني قد دعا إلى الإنتاج الجماعي، داخل المجتمع،إذ يكون فيه الإنتاج ملكاً لجميع المجتمعات المتعاونة المكوّنة من طبقة العمال.(سعد،١٩٩٠،ص٢٩٨) (Saad,1990:p298) كما"لعبت الأيديولوجية الفوضوية دوراً مهماً في تشكيل

الوعي الرديكالي اليساري Radical consciousness وموجة الاحتجاج،التي اجتاحت الغرب في الستينات".(سلوم، ١٩٨٦،ص٣٦٥) (Salloum,1986,p365) من القرن التاسع عشر.

## رفض السلطة:

أنكرت الفوضوية السلطة (سلطة الدولة) state authority وجميع أنواع السلطات،لأنها رأت أنَّ كلَّ سلطة تكون قهرية بطبيعتها.وكان منهجهم العنف الاجتماعي ضد التسلط. (Wood cock,1971,p16) ومبدأ الفوضوية قام على رفض سلطة الدولة، مهما كانت،لأنها سلطة قهرية بطبيعتها.وبالتالي فإنها تهدف إلى هدمها مع العمل على تغيير المجتمع. حتى لو جاءت هذه السلطة عن طريق الانتخابات العامة، ففي النهاية سوف ينصب كله في خدمة مجموعة صغيرة تحكم وتسيطر.

يقول باكونين:"نحن نرفض باختصار كل تشريعٍ وكل سلطةٍ وكل تأثير متميّز، ورسمي، وقانوني وإن كان مصدره الإنتخاب العام، ليقيننا الصارم أنَّ هذه الأمور لن تخدم سوى مصلحة أقليّة مسيطرة ومستغلة على حساب مصالح الأغلبيّة الساحقة المستعبدة".(باكونين،١٩٩٢:ص٥٠)(Bakunin,1992,p50)

ولا تعترف الفوضويّة بالملكية الفردية التي هي السبب الذي يؤدي إلى إيجاد الفوارق بين الناس وبالتالي نشر عدم العداالملكية الفردية تعطي لصاحبها السلطة الاجتماعية والسياسية كذلك.(بحري،١٩٦٧،ص149) (Bahri,1967,p149) والفوضوية تختلف عن المثاليين الذين يفهمون السلطة بصورة مغايرة، لأنهم لم يتخلوا عن الأديان كلها ومازالوا يتمسكون بالحكومة ، والدولة المقدسة التي هي في نظر الفوضويين أداة قمعية Repressive tool لا بد من التخلص منها وتحطيمها عن طريق الثورة.

"الدّولة هي السلطة، وهي القوّة، والتفنن في استخدامها،لانها تبحث عن قناعة فهي تعتمد على المحاولة في جميع أفعالها تجاه الأفراد، لذلك فهي تعمل بطريقة غير مقنعة، ولهذا فإن طبيعتها ليست من أجل الهداية، بل إن عملها هو الإكراه والخداع .إن الدّولة تكافح بإستمرار، لإخفاء وظيفتها الحد من حريّة الإنسان، حتى الخير التي تدعو له الدّولة فهو باطل ومشكوك فيه من قبل المواطن، فالخير من الدّولة عبارة عن شر بنظر باكونين.(سعيد،٢٠٠٦،ص٦٦) (Said,2006,p66) ورفضت الفوضوية سلطة الدولة لأن سلطة الدولة تتعارض مع مبدأ الحرية. وإن السلطة عنده هي التسلط على الآخرين، وبالتالي فهي مرفوضة تماماً،عن طريق العنف الثوري. فالدولة تستعبد الناس وتضطهدهم. (سعد، ١٩٩٠،ص ٢٩٧) (SaadK1990,p297)

والدولة بطبيعتها ذات شكلٍ وحشّي، وتمثل صفة الحرب والقهر والتسلط . وبدأ العنف الوحشي من الدولة التي تستعبد الأكثرية من الناس.ومن السهل التمرد ضد الدولة لأن السلطة فيها تجعل التمرد لا بد منه لأن طبيعة الدولة تسلطها وإنكارها لحرية الإنسان.(Bakunin,1973,p151) وتؤكد النظرية الفوضوية على الحرية، فالحرية:"هي حرية الفرد والمجتمع والإنسانية التي تحققها المساواة الاقتصادية. من هنا كان على الإنسان أن يدمر جميع الميزات، والملكية الخاصة، والدولة خاصة، وهي أداة استعباد الشعب وحامية مصالح وامتيازات أقلية كنسية، أو إقطاعية، أو برجوازية، أو عامة".(الهنا،١٩٨٨,ص1047–١٠٤٨) (Alhana,1988,p1047-1048)

يُعدَّ باكونين مؤسس الفوضوية الروسية والعالمية. المفكر الأساس فيها، فقد كان مشتعلاً حماساً بأشد الأفكار الثورية تطرفاً. لكنه كان عاجزاً عن التفكير المنهجي المنتظم. فلم يرض بتأسيس منظماتٍ مختلفةٍ، أو حزبٍ ثوريٍّ الخ. وكان معادياً للنظريات العقلية والتنظيم الحزبي، بخلاف ماركس Marx(١٨١٨–١٨٨٣) الذي كان ذو نزعةٍ عقليةٍ، يؤكد النظرية والفلسفة، أو الفكر المبرمج، لهذا كان على خلاف كبير مع باكونين.

وقد رفضت الفوضويّة الحكومات المنتخبة عبر طريق الاقتراع ، لأنها لا تصبُّ في مصلحة أفراد المجتمع، بل تصب في مصلحة الأقليّة الحاكمة المستغلة والمسيطرة.فالحكومة – وفقاً لرأيها – بما فيها المؤسسات المدنية والعسكرية، ما هي إلا أدواتُ قمعيةُ، لا بد من تحطيمها، بالثورة والعنف والفوضى.(سعيد،٢٠٠٦،٦٧) (Said,2006,67) ولباكونين قول مشهور في كتابه الإله والدولة:" بهذا المعنى نحن فعلاً لا سلطويّون". (باكونين، ١٩٩٠،ص٥٠) (Bakunin,1990,p50)

كما اعترض على حكم رجال الدين في الكنيسة وسلطتها المطلقة، إذ يجب الاطاحة بالأوثان السماوية والأرضية على حدَّ سواءٍ ، وتنظيم عالمٍ جديدٍ هو عالمِ الإنسانية. والعمل على إعطاء البشر حريتهم، والمساواة بينهم في الاقتصاد والاجتماع، والحرية أول شروط الإنسانية، ويجب أن تتحقق في العالم.(باكونين، ١٩٩٠،١٢٩)(Bakunin,1990,129) ولا يتم تحقيق الحرية ، ومصالح المجتمع الفعلية ، والجماعات وكل التنظيمات المحلية إلا إذا ألغيت الحكومات.(Bakunin,1973,p142)

إعترض ماركس على باكونين "مؤكداً أن العمليّة السياسيّة الثوريّة بوصفها قطيعة مع النظام القائم تظل هي نفسها قائمة على الإكراه، لأنها هي نفسها عنيفة وسلطويّة بالضرورة،وبالتالي لا يمكن مواجهة السياسة الواقعيّة (وهي سياسة الطبقة المهيمنة) إلا بسياسة أخرى".(بلان،٢٠١١،ص٢٩٠) (plaan,2011,p290)

## الدولة وإخضاع الأفراد:

المبدأ الاساس الذي تؤمن به الفوضوية هو أن الدولة خلقت لإخضاع الافراد، وتعتمد بوجودها على تعايش الافراد، من خلال الاتفاق بين أفرادها، وفق **عقد اجتماعي** social contract، ورأى روسو(١٧١٢–١٧٧٨)وهو أحد القائلين بذلك العقد أن البشر اجتمعوا من أجل الإتفاق agreement على شكل من التعايش لكي يحمي الافراد المجتمعين، فيما يسمى بالدولة، يحميهم من القسوة، ويحمي ممتلكاتهم من خلال معايشتهم معاً، إلا أنهم وقفوا مناهضين للدولة أياً كانت.(أرفون، ١٩٨٣،ص١٨) (Arvon,1983,p18)

"إن السّمة العامّة المميّزة لكافة الإتّجاهات الفوضويّة وتيّاراتها، هي تصوير الدولة شراً مطلقاً...وكان حملة هذه الأفكار من الطلبة والمثقفين ذوي الأمزجة المعادية للرأسمالية، الذين يقفون ضد تطور دور الدولة البرجوازية في المراقبة والتنظيم،وضد إخضاع مؤسسات المجتمع البرجوازي(الديمقراطية) لمصالح الطبقة السائدة". (سلوم،١٩٨٦،ص٣٦٤–٣٦٥) (Salloum,1986,p364-365)

## الفوضويّة لا تنكر النظام،بل تؤمن بالعقد:

تهدف الدولة إلى أن تضحي(بالسعادة الفردية)individual happiness لصالح القضية الأساس وهي الحفاظ على الأفراد من القسوة ، وممتلكاتهم من النهب.ومن مهمات الدولة:حماية"العقد الاجتماعي"، والحريات الفردية. ولا بد من أجل حماية الافراد،استخدام الضغط عن طريق القوانين التي تتضمن العقوبات.

وأول من نادى بالعقد الإجتماعي بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ هو الفيلسوف الفرنسي روسوRousseau (١٧١٢-١٧٧٨)،إذ حاول رسم التقدّم التاريخي للمجتمعات الإنسانية، بطريقة منظمة، فقد سبق غيره، ومنهم أنجلز بقرن من الزمن. فقد دعوا إلى تطوّر المجتمع الإنساني،عن طريق الشعب.(سعد،١٩٩٠،ص263) (Saad,1990,p263)كما أن روسو دعا إلى أن تكون الحكومات أما ملكيّة، أو أرستقراطيّة، أو ديمقراطية، ويجب أن يتكيّف نظام الحكم مع حالة المجتمع الإقتصاديّة ، والإجتماعيّة، كما أنه فضّل الحكم الديمقراطي المباشر.(سعد، ١٩٩٠،ص٢٦٤)

وهنا اختلف"العقد الاجتماعي "عند الفوضويين عنه عند روسو"،إلّا أنَّ الفوضويين ولا سيما برودون، رأوا أن عقد روسو ليس اجتماعياً إلّا بالاسم. وأكّد برودون: إنَّ عقد روسو الإجتماعي لا يعبّر إلّا عن خدعة تكرّس البؤس إستناداً إلى شرعية الشعب. بينما الفوضوية رأت أن عقدهم ليس فرضاً،بل أنه واقعي.وإن الفوضوية لا تستند إلى"عقد وحيد"، بل إلى مجموعة من الاتفاقات تناسب حاجات الفرد.

رفضت الفوضوية كل أساليب الضغط والقسر، لأن الطغاة يؤمنون أن الحفاظ على النظام لا يتم إلا بالقوة أو القوانين القسرية compulsory laws .لذلك هم أيضاً قالوا أنه يجب أن يكون هناك "عقد حر" بين المعنيين، تكون بنوده مطروحة في حرية واتفاق،أي دون ضغط وقسر.لذلك إستبعدت الفوضوية كل فكرة للسيطرة لأنها مناهضة لفكرة الحرية الفردية.(أرفون،١٩٨٣،ص٧٢) (Arvon,1983,p72)

"ففيما روسو، في العقد الاجتماعي، فرض التخلي التام عن حرية كل مواطن، وحرمان كل شريك تماما من كل حقوقه، إلى الشركة، يوضح برودون أن لدى توقيع كل عقد،على كل متعاقد ان ينال بقدر ما يعطي،وأن يستمر– خارج موجبات العقد– في التنعم بحريته الكاملة".(أرفون،١٩٨٣،ص٧٣)(Arvon ,1983,p73)

والعقد الفوضوي محدود المدى، يعطي الفرد حريته .وإن العقد الحر، في رأي الفوضوية، يؤدي إلى الفدرالية، على أساس أنها تذيب تنظيم الدولة،لأن مثل هذه العقود متوازنة فلا هي جامدة، ولاهي نهائيةُ،على الصعيد المهني والاقليمي والوطني، والدولي،وقد قادتهم الفدرالية الى اتجاه "الكومونة" التي طبقت في باريس للمرة الاولى عام١٨٧١.والدليل على ذلك،البيان الصادر عن انتخابات الكومونة،على أساس أن استقلال الكومونة، ضمان لعقد يؤمن المساواة الاجتماعية. ويبدو أن فشل الكومونة في باريس جاء بسبب عدم وجود سلطة مركزية، ماأدى إلى الإسهام في اندثارها.

إلأ أنَّ فشل الكومونة commune لا يعني فشل الفدرالية.صارت فكرة الفدرالية الموضوع الأساس للدعاية الفوضوية،بل أن الفدرالية ممكنة التحقق لأنها– بموجب رأي الفوضوية – تقوم على أساس(عقود حرة)، وظلت الفدرالية حرةً حتى بعد زوال الفوضوية – لهذا تكمن قيمة رأي الفوضوية للافراد في موقفهم من العقد الحر.وكما هو معروف أن الكومونة هي أصغر وحدات التقسيم الإداري في فرنسا. وإقترن تعبير الكومونة بثورة العمال في باريس عام ١٨٧١،إذ استولت اللجان الثورية على السلطة التابعة للكومونة، وحلت محل بلدية باريس ثم شكلت حكومة إشتراكية بعد إسقاط الحكومة البرجوازية (الطبقة الوسطى) بين العمال والرأسماليين.وكومونة باريس لم تعمر أكثر من ٧٠ يوماً.وقد كان لها صدى كبير في الثورات التي حدثت في القرن العشرين،لا سيما الثورة الاشتراكية في روسيا ١٩١٧.

رأى منظرو الفوضوية قيمة العقد الحر free contract عند الفوضوية أن مفهومهم "فدرالي" ودواء لجميع الافات الاجتماعية، بل يفرضون نمط حياة يتيح تطبيقه، فنجد أن تولستوي يدعو إلى العودة للارض، وباكونين نجده يفكر بالكومونة الريفية الروسية ذات الحياة البدائية البسيطة،أمّا برودون فيتمسك بالتنظيم الحر في المجتمع، ويعارض نمط الحياة الجديد الذي فرضته التطورات الصناعية في مجتمعاتهم، لكن جميع تصوراته كانت معاكسة لتطور الحياة الاجتماعية.(أرفون، ١٩٨٣،ص٧٧) (Arvon,1983,p77)

يتفق جميع الفوضويين في أفكارهم على العودة إلى الطبيعة، والأرض،والحياة البسيطة، الخالية من التعقيدات،التي تفرضها الحياة الجديدة المتقدمة الصناعية .ويقول باكونين في كتابه الإله والدولة: "نحن نعترف بسلطة العلم المطلقة،لأنه ليس للعلم من غاية سوى تصوير ذهنيٍّ ومتعقّلٍ، ومنهجيٍّ، في نطاق الممكن...أما ماعدا هذه السلطة، فإننا نعدّها كلها سلطاتٍ كاذبةٍ، وتعسّفيّةٍ، واستبداديّةٍ، ومضرّةٍ."(باكونين، ١٩٩٢،ص٤٨) (Bakunin,1992,p48)

ومن بين السّلطات التي رفضها باكونين "سلطة الكنيسة" لكون رجال الدين على الأرض يمثلون أولياء سلطةٍ مطلقةٍ، وشبه إلهيّة، فالدولة إذن تتعرض للّعنات نفسها.والدولة تكوّن حلقةً ضروريّةً في السلسلة التي تربط الحيوانيّة بالإنسانيّة،وهي وثيقة الصلة بالدين،لذلك محكومة بالزّوال. وإن القضاء على الدول لا يتم إلا بالحريّة الشاملة، الحريّة للفرد، وحريّة الفرد متعلقة بحرية الجميع، الطغيان على فئة ما يؤدّي إلى الطغيان على الجميع ، ويحرم الجميع من الحريّة،سواء أكان الفرد سيداً أم عبداً،والإنسان عنده ليس إنساناً حراً إلا إذا أخذ الجميع إنسانيته وحريّته.(أرفون،١٩٨٣:ص٥٧-٥٩)(Arvon,1983,p 57-59)

ولكن ليس كل ما طرحه الفوضويّون مقبولاً من الآخرين فمثلاً نجد الفيلسوف الروسي برديائيف(١٨٧٤ – ١٩٤٨) قد رفض أفكارهم الفوضويَة،ورأى أنها قائمة على تصوّر خاطئ، والإنسان يميل إلى الخير،وإن حقيقة المجتمع المثالي في كونة مجتمعاً خالياً من القوانين،ويجب أن لا يكون للإنسان سلطانُ على غيره من الناس.(برديائيف،١٩٨٦،ص١٠) (Berdiyev,1986,p10)

## بين باكونين وماركس:

يُعدُّ باكونين أشد الناس تحيزاً للفوضوية، ففي البداية كان على وفاق مع ماركس، ولكن فيما بعد أصبح أحد أعدائه. أظهر كرهه للألمان، عتقاده أن كل ثورات العالم تنطلق من روسيا وشعبها. وفوضوية باكونين ثورةُ عالميةُ، الهدف منها القضاء على العالم القديم،ليحل محله عالم جديد،مع دفاعه المستمر عن طبقة البروليتاريا proletaraiat(كلمة يونانية تعني الطبقة المعدمة)، ويرغب في دفع هذه الطبقة إلى التمرد في العالم.والشعب المستنير الكادح هو الذي يمكنه القيام بالثورة ضد الحكام، مؤكداً في ذلك على الشعب الروسي،عادًّا الدولة مليئة بالشر وهي تحت سيطرة الطبقة الحاكمة، فهي رمز للإضطهاد.

دعواته هذه الدعوات له أكدت لنا كيف كانت شخصية باكونين السياسية والثوريّة، فقد قد اشترك في العديد من الإنقلابات السياسيّة،حتى حكم عليه بالإعدام، وسجن أكثر من مرّة من قبل الحكومة الروسيّة، ونفي إلى سيبيريا،ومنها هرب عام ١٨٦١ إلى بريطانيا، وتنقل بأفكاره الثوريّة بين إيطاليا، وسويسرا، وروسيا،عندئذ ظهرت ملامح أفكاره الماديّة، وشرع إلى تأسيس أفكاره القائمة على الفوضويّة.(لوسكي،٢٠١٧،ص٧٩) (Lusky,2017,p79)

ونشير هنا إلى التشابه بين باكونين وماركس: إنهما أخذا من فلسفة هيجل.وأنهما في الأصل كانا من عائلات أرستقراطية، وهما يؤمنان بمبدأ الحرية والدفاع عن الفقراء.أما الإختلاف بين ماركس وباكونين وخاصة في طريقة التفكير، إن باكونين كان يؤمن بسلطة العلم المطلقة، لأنه ليس للعلم غاية سوى إعطاء المنهج أو القوانين المفيدة للحياة، لكنه رفض سلطة ممثلي العلم وشموليتهم،أما ما عدا ذلك فالسلطة تعد عقلانية ومشروعة،وهي سلطة مطابقة لمصلحة المواطن.(باكونين، ١٩٩٢ ،ص٤٢) (Bakunin,1992,p42)

أما ماركس فكان يعتمد على العقل وبخاصة في النظريات الفلسفية، والعلمية، والمنهجية الحزبية – كما أشرنا – وهناك اختلافات أخرى خاصة بينهما فضلاً عن الخلافات المبدئية.إن التناقض بين الفوضوية والماركسية يكمن في مصدرهما الفكري،على الرغم من أن كليهما هيجليان. ولكن التفكير الهيجلي سار بتيارين– **الأول:**فويرباخ Feuerbach (١٨٠٤–١٨٧٢) وباكونين وغيرهما، **والثاني:**ماركس ولينين Lenin (١٨٧٠—١٩٢٤) وغيرهما. فالتيار الماركسي اتبع أفكار الديالكتيك الهيجلي وحولها من التناقضات العقلية إلى التناقضات المادية(المادة والمجتمع).

ومن هنا نجد أن الاختلاف بين الفوضويّة والاشتراكيّة كان كبيراً إذا أهم شخصين في الشيوعيّة كانا ضد الفوضويّة هما:ماركس ولينين، فنجد أن لينين قد وصف الفوضويّة بأنها التيار المضاد للإشتراكيّة، كما رأى أن كل فوضويَّ هو رجعيَّ،وكذلك أن الفوضويّة كانت ضد الديمقراطيّة.(أرفون، ١٩٨٣:ص٧٩) (Arvon,1983,p79)أما التيار **الثاني:** فقد استخدم باكونين النضال الثوري دون نظرية محددة منسقة، وكان يهدف إلى تدمير السلطة destruction of power القائمة عن طريق العنف. هذا على عكس الماركسية التي استمدت الهيجلية منهجاً وهو الديالكتيك الهيجلي الذي تحول من العقلي إلى الصراع المادي في الطبيعة والمجتمع – كما أشرنا.(سعد، ١٩٩٠:ص٧٠) (Saad,1990,p70)

وتوجد خلافات أخرى بينهما نذكر منها: باكونين غلب علي الطابع الفوضوي،أما ماركس فقد كان من أنصار الحرية المطلقة. وهدف ماركس هو الدفاع عن العمل السياسي للوصول إلى الدولة ومن ثم اسقاطها لتحل محلها حكومة مركزية وكل هذا من أجل العمال، إذن ــماركس كان يقبل الدولة، اما باكونين فلا يشجع على العمل السياسي.وقد دار والخلاف الذي بين الماركسيين والفوضويين حول هذه النقطة الأخيرة. وأراد باكونين أن يحقق الحريّة بالدمار الشامل، لكل شيء بالثورة، فرفض الماضي كله، وكان شديد الحذر من المستقبل. كما أنه ليس له مصالح شخصيّة، وهو رجل لا يمتلك شيئاً،إلاّ أنه أراد تدمير كل شيء، فهو لا يعرف سوى علم واحد ألا وهو علم التخريب.

عارض باكونين أي تنظيم حزبيَّ كي لا يعتمد الثوار على توجيهات من رؤساء للتنظيمات أو غير دلك. لأن أفضل أشكال التنظيم هو"التنظيم الشخصي" أي قيام مجموعة من الأصدقاء بالأعمال الفوضويّة. وكان باكونين يطلب التعاون بين العمال والإشتراكيين... فقد كان لا يثق إلا في الطبقة العاملة في أوروبّا الغربيّة، وفي الفلاحين والشباب المتعلم في روسيا. وكان يؤمن بأنهما طليعة الثورة... وكانت تجاربه في ظل حكم القيصر"ألكسندر الأول" الفاسد الدكتاتوري. إذ كانت تسيطر على روسيا في ذلك الوقت أقليّة من النبلاء وملاّك الأراضي في الوقت الذي كانت نفوس روسيا آنذاك ٥٠ مليون نسمة.في حين كان ماركس يعلق آمالاً على دور الطبقة العاملة في دول أوروبّا مثل ألمانيا وانجلترا.... ومن الواضح أن التيار الفوضوي كان يرفض فكرة الدولة، أياً كان نوعها، ولم يعرف باكونين إلا بالمساواة الإقتصادية والإجتماعيّة بين الجميع فدون هذه المساواة

تصبح الكرامة الإنسانية والأخلاق والمساواة مجرّد أكاذيب. أراد عالماً جديداً دون قوانين،عالم حر، كما أراد سلطة يشد أزرها المناضلون "الفدائيّون" الذين يقدّمون نصائحهم للسلطة.(سعد،١٩٩٠،ص٢٩٤-٢٩٥) (Saad,1990,p294-295)

لذلك نجد أن باكونين اختلف عن برودون ففوضويّة برودون إيجابيّة أمّا هو ففوضويته سلبيةُ، صاخبةُ، هدّامةُ، ثائرةُ على الدولة ، وأفكاره هذه ليست مجرد نظريّة مثاليّة، بل كان يطبقها في الواقع. إذ شجعت بعض المتحمسين على فكرة الإرهاب الفوضوي.(أرفون،١٩٨٣،ص٦٠) (Arvon,1983,p60)

واختلف"باكونين مع الإشتراكيّين جميعهم الثوريّون والاستبداديّون despotic في مسألة تنظيم العمل فيقول: يريد هؤلاء...إنشاء نظامٍ اجتماعيٍّ جديدٍ، مؤسسٍ على تنظيم العمل المشترك فحسب، وتفرضه قوة الأحداث على الفرد وعلى الجماعة بأوضاعٍ إقتصاديّةٍ متساويةٍ للجميع،وامتلاك مشترك لوسائل العمل".(باكونين، ١٩٩٢،ص ١٣٠) (Bakunin,1992,p130) ويتساءل هل يتحقق ذلك لهم؟وهل هم قادرون على بلوغ ذلك؟

رأى باكونين أنه لا يمكن تحقيق ذلك،بسبب التناقض التاريخي Historical contradiction الذي مرّت به الشيوعيّة العلمية التي طورتّها المدرسة الألمانية في عهد ماركس والاشتراكيين لامريكان والبريطانين هذا من جهة، والبرودونيّة التي تطوّرت نتائجها في أمريكا اللاتينية.(باكونين،١٩٩٢،ص١٣١) (Bakunin,1992,p131) والجدير بالذكر أن باكونين وفي الاجتماعات الأممية الأولى،عمد إلى"التنديد بالإنحراف البرلماني الذي قادته الإشتراكية – الديمقراطية نحو جبهة شعبية تقوم بينهم وبين الأحزاب البرجوازية الليبرالية".(غيرين،١٩٧٥،ص٧٠) (Gerin,1975,p70) وكان ذلك ما قبل عام ١٨٧٠.

ولــباكونين مجموعة من الكتب أبرزها كتاب"الله والدولة" God and the state.ومن السهل جداً – في رأيه – أن يثور الإنسان على الدولة الطاغية والظالمة، وقد أنكر الفوضويون السلطة وحاربوها بأسلوب عنيف غير قائم على التنظيم الحزبي وما شابه.. بل بالتنظيم الفردي،لأنه رفض الحزبية وعدهاً ونوعاً نوع من أنواع السلطات والسلطة عنده شكل من أشكال قمع الجماهير....قبل ــماركس كان يقبل بالدولة "كإدارة للأشياء" بينما رفض باكونين رفض كل وجود للدولة، وــماركس قبل بالتحالف مع التيارات الديمقراطية البرجوازية،أما هو فكان يؤكد النشاط السياسي الوحيد الثوري ألا وهو تحطيم الدولة وجميع مظاهرها.(الهنا،١٩٨٨،ص١٠٢٤) (Al Hana,1988,p1024)

اختلف باكونين عن ماركس برفضه أي سلطة، وهذا يدل على رفض السياسة نفسها، من هنا اعترض عليه ماركس، وأكّد على أن القطيعة في العمليّة السياسيّة الثوريّة هي قطيعة قائمة على الإكراه، لأنها ثورة عنيفة وايضاً ثورة سلطويّة، لذلك رأى ماركس أنه لا يمكن مواجهة سياسة أي دولة واقعيّة إلاّ بالسياسة، لذلك من غير المجدي إلغاء السلطة، بل المجدي هو إيجاد مضمون صحيح يغيّر من أي سلطة قائمة من الجانب السلبي إلى الإيجابي.(بلان،٢٠١١،٢٠١١،ص٢٩٠) (Palan,2011,p290)

وكان باكونين يعدُّ نفسه مجرّد سياسيّ رديءٍ،وصاحبَ تكتيكٍ رديءٍ.وكان لا يثق في سياسة أوروبّا الغربيّة إلاّفي الطبقة العاملة،وفي روسيا الطبقة الفلاحين والشباب المتعلمين.كما كان يدعوإلى تنظيم المجتمع ، والملكيّة الجماعيّة الإجتماعيّة من أسفل إلى أعلى عن طريق الإتحاد الحر،وليس العكس من أعلى إلى أسفل.(سعد،1990،ص٢٩٧-٢٩٨) (Saad,1990,p297-298)

إن هذه المبادئ الفوضوية التي جاء بها باكونين والفوضويون الآخرون،أدت رفضها الماركسيون – كما ذكرنا –،لأنهم يهدفون إلى تحطيم الأنظمة الاستبدادية عن طريق"التنظيم الحزبي والثورة الشعبية المنظمة". بينما لم تجد الفوضوية لها أنصاراً كثراً في روسيا، أو ألمانيا، أو غيرها من بلدان أوروبا،على الرغم من صدقهم وتضحياتهم من أجل الوصول إلى أهدافهم في الحرية لشعوب أوروبا والعالم أجمع.وقد ماركس وغيره من المعاصرين للفوضوية في مرحلة من المراحل على وئام واتفاق لإقامة مجتمعٍ عادلٍ خالٍ من الظلم، إلا أنهَّما اختلفا لأن كلاً منهما يسير في طريق مختلف.

فقد اعتمد ماركس طريق التنظيم الحزبي وتوعية الناس بحقوقها لطبقة البروليتاريا التي تحقق النصر على الحكومات البرجوازية المستغلة للجماهير..ففي ألمانيا نجد من الثوريين المنظرة والفيلسوفة والاقتصادية الاشتراكية البولندية الأصل روزا لوكسمبرغ Rosa Luxemburg (١٨٥١– ١٩١٩) التي اعتقدت أن عليها أن تندد بالفوضوية .. وعدّها "مرضاً طفولياً فوضوياً".. وقد كانت قاسية تماماً مع الانحراف الشبابي نحو الفوضوية التي تؤدي إلى الإفلاس السياسي.(غيرين،١٩٧٥ ،ص٧٢–٧٣) (Gerin,1975,p72–73)

## موقف جديد ضدّ أشكال السلطة:

يعدُّ كروبتكين Kruptkin (١٨٤٢–١٩٢١) فوضياً ومفكراً روسياً ولد أميراً من أسرة غنية،وكان في صباه وصيفاً للقيصر وشغل مناصبَ مدنيةً وعسكريةً،ولكن اهتمامه بحالة الفلاحين الروس قاده إلى النزول عن لقب الإمارة. وسجن في فرنسا،ثم انتقل إلى إنجلترا وعاد إلى روسيا بعد الثورة عام ١٩١٧،على الرغم من معارضته للبلشفيّين. من أهم مؤلفاته" الحقول والمصانع الكبيرة والصغيرة سنة ١٨٩٩" و" الفوضى، فلسفتها ومثالها" و" العلم المعاصر والفوضى" و "الأطيقا".

كان الموضوع الرئيس لكتاباته إسقاط كل أشكال السلطة من أجل إقامة مجتمعٍ شيوعيٍّ كليٍّ يقوم على مبدأ التعاون المتبادل، بدلاً من المؤسسات الحكومية.وكتب باللغتين الفرنسية والإنجليزية،ومن كتاباته أيضاً "ذكريات الثوار ١٨٨٥"،"الاستيلاء على الخبز" و"الارهاب في روسيا ١٩٠٩".

لقد كان كروبتكين من اتباع باكونين، قضى معظم حياته في السّجون الروسيّة، حتى كاد أن يألفها، فمعظم مؤلفاته كرست لمسائل الإنتاج، فقد ورأى أن الإنتاج لو تطوّر من الناحية العلميّة لعاشت الشعوب كلها في رفاهيّة تامّة. فالإنسان في رأيه يقضي حياته في العمل والإنتاج المؤلمين ويستغرق ساعاتٍ طويلةٍ فيه وهذا يعيق رقيّه ويجعله يبتعد عن الفن والأدب والعلم.(سعيد، ٢٠٠٦،ص٦٨) (Said,2006,p68)وكان يدعو إلى الثورة ضد ظلم القياصرةُ وكلَّ نظامٍ مستبدٍ، داعياً إلى الكومونات. و" الكومون الحر...هو الشكل السياسي الذي يجب أن تأخذ به أي الثورة". درس كتابات المنظرين السياسيين الرّياديين، لذلك تبنى وجهات نظر إشتراكية ثوريةRevolutionary socialism . وكانت حياته مليئة بالمغامرة سجن أكثر من مرة وعاش فترة في فرنسا وبريطانيا ، ولكنه في النهاية رجع إلى بلده وعاش بالقرب من موسكو.

كان هدف كروبتكين هو إنشاء مصانع صغيرة، بدل اهتمام السياسيين، ورجال الإقتصاد بالمصانع الكبيرة،وذكر ذلك في كتابه"الحقول والمصانع الكبيرة والصغيرة"وأكّد على أن أغلب الإنتاج الصناعي أنما يتم في الورش، والمصانع الصغيرة المحليّة بأيدي الطبقة الفقيرة،ودعا إلى تحرر مكان العمل، وتحرر اختيار الفرد لعمله.وهذا يسهل الجمع بين العمل الذهني والعمل البدني.(وارد،٢٠١٤،ص٥٥) (Ward,2014,p55) وعندما

أقام في روسيا انتقد النظام البلشفي(الأكثرية) الذي يعيش في ظله، بأصرح العبارات وتنبأ للنظام الشيوعي القائم على الحزب الواحد بالفشل،إلا أنهَّ لم يدع إلى العنف،على الرغم من أنه أبرز أقطاب "الشيوعية الفوضوية".،وهو يعتقد أن الإصلاح الإجتماعي يستلزم:

١- تحرير المنتج من نير الرأسماليين لكي يتأتّى الإنتاج المشترك.
٢- التحرر من نير الحكومة حتى يتيسر للأفراد أن يتحدوا، ويصبحوا أحراراً.
٣- التحرر من نطاق الاخلاق الكنسية.

**كروبتكين:ونظرية التّطوّر:**

رفض كروبتكين نظرية العالم الإنجليزي داروين Darwin (١٨٠٩-١٨٨٢)"الصراع من أجل البقاء" The struggle for survival مهتدياً بنظريات علم الحيوان. في المقابل نجد أن كروبتكين ردّ على دارون أيضاً بنظريّة أخرى مستنداً أيضاً على علم الحيوان،متأثراً بذلك بعالم الحيوان الروسيKarl.F.Kassle الذي رأي أن التعاون بين الحيوانات وليس الصراع هو الذي يحدد العلاقات بين أفراد النوع الواحد، هذا التعاون هو العامل الأقوى في عملية البقاء والتطوّر.

من هنا أخذ كروبتكين هذه الفكرة وطبقها على المسائل الاجتماعية،وتوصل إلى نتيجة مفادها أن العادة والإتفاق الإداري، وليس القانون والسلطة والنزاع هم الذين يكوّنون القوى الخلاقة في التاريخ،بل التعاون الإجتماعي social cooperation هو السبيل الوحيد من أجل البقاء،وأن الكائنات الأكثر تعاوناً هي الكائنات الأكثر عدداً والأكثر سعادة.(بدوي، ١٩٨٤،ص ٢٥٦) (Badawi,1984,p256)

وليس صحيحاً كما يقال عن الفوضويين أنهم جميعاً يرفضون الدين، أو ينكرون الديانات بكل أشكالها سواء أكانت مبتدعة وضعية أم تقليدية منزلة بشكل وحي على الأنبياء.بل ينكرون الديانات التي يتخذها أصحابها المتسلطون حجة للسيطرة على الضعفاء.(العقاد، ١٩٧٢،ص٩٣-٩٤)(Akkad,1972,p93-94)

**قانون التعاون:**

أعظم قانونٍ إجتماعيٍّ أخلاقيٍّ يدين به كروبتكين هو قانون " التعاون المتبادل" Mutual cooperation وقد كتب أشهر مؤلفاته عن التعاون لشرح هذا القانون وهو كتاب" التعاون المتبادل"،عامل في التّطوّر وهو سلسلة من المقالات ردّ فيها على بحث كتبه توماس هكسلي Thomas Huxley(١٨٢٥ – ١٨٨٥)بعنوان الصراع من أجل الوجود. وخلاصة كتاب كروبتكين:أن قانون التعاون أهم شيء في نشوء الإجتماع وترقيته من قانون تنازع البقاء. وأكّدعلى ضرورة التعاون بين الأفراد الذين ينتمون إلى النوع نفسه،من أجل التعامل مع محيطهم ولا بد من أن ينمي عندهم الإحساس بالعدالة بينهم.والعدالة تفضي إلى تقدير حقوق الأفراد الآخرين وإحترام المساواة مع الجميع ،وتساعد الفرد إلى التضحية بمصالحه الشخصية في سبيل مصلحة الجماعة داخل مجتمعه. فإنَّ أن تطوّر المجتمع ووفقاً لــ كروبتكين يقوم على ثلاثيّة وهي: التعاون المتبادل وهو أبسطها وأعمقهاو الإحساس بالعدالةوالأخلاق وهي أعلاها في التجلي وأقلها في الوفرة.والجماعات التي تخفق في التحوّل إلى التعاون المتبادل وحسن الأخلاق، محكوم عليها بالانحلال والزوال.(بدوي،١٩٨٤،ص٢٥٦-٢٥٧) (Badawi,1984,p256-257)

إن "المجتمع الذي دعا إليه يقوم على الجماعات الحرة، التي تكون فيها وسائل الإنتاج Means of production ملكاً مشاعاً للجميع،وفيه يحصل كل فرد على ما يحتاج إليه.وقد أطلق هو على هذا النظام إسم "الشيوعي الفوضوي"Anarch Communist في مقابل "الماركسيّة"Marxism التي نظر إليها على أنها تقوم على سيطرة الدّولة واستبدادها بكل شيء".(بدوي، ١٩٨٤ ،ص ٢٥٦) (Badawi,1984,p256)

تدعو الفوضوية إلى"التنظيم الحر" free organization للمجتمع وقد وصفها كروبتكين كبير مؤيدي الحركة الفوضوية بأنها مذهبُ، أو نظريةُ للحياة والسلوك يتصور فيها المجتمع بغير حكومة، ويحصل على التجانس في مثل هذا المجتمع لا بالطاعة لأي سلطة أخرى، وإنما بالإتفاقات الحرة التي تعقد بين المجموعات المختلفة ، المحلية أو المهنية ، التي تكونت بحرية من أجل الإنتاج والإستهلاك،وكذلك لإرضاء تشكيلة الحاجات والمطامع التي لا حصر لها للكائن المتحضر.

إن الشرط الأساس عند أصحاب الفوضوية ومنهم كروبتكين لقيام المجتمعات هو :التحرر من جميع قيود السلطة الدينية والسياسية، فجميع الفوضويين يناهضون الإشتراكية الماركسية لكونها عند زعيمهم محاولة جديدة لإحلال السيطرة والطغيان بإسم طبقة العمال.(الهنا،١٩٨٨،ص١٠٤٨) (Alhana,1988,p1048)

## رأي برودون في الطبقة البرجوازيّة:

يعد برودونProudhon(١٨٠٩–١٨٦٥) من أبرز الشخصيات في المذهب الإشتراكي الفوضوي، إشتهر في المطالبة بالحرية المطلقة، وكان قد أكّد على أن الأفراد أحرارو بلا دولة ولا دين –هذا الإتجاه الفوضوي قد ظهر بتأثير الثورة الفرنسية،وبعد أن فشل الفكر"البرجوازي" Bourgeoisie (الطبقة الوسطى من مهندسين وأطباء وتجار...) في مواجهة متطلبات الإصلاح الإجتماعي – كما أن البرجوازية قد سيطرت على جميع مظاهر الحياة في أوروبا مما سبب قيام ثورة ١٨٣٠التي قادها عمّال النّسيج في ليون في فرنسا و لهذه الثورة امتدادات في بلجيكا وألمانيا،وكان برودون أبرز قادة تلك الثورة، إنه ينتمي إلى الطبقة البروليتاريّة المضطهدة.وقد خص هذه الطبقة حق التفرد في العمل على تحقيق العدالة الإجتماعيةsocial justice ،وهو من مؤسسي الفوضوية وأبرز مؤلفاته:"ما هي الملكيّة ؟"و"فلسفة البؤس".

أكد برودون الإنتماء للطبقة العماليّة..لذلك أوضح دائماً احتقاراً للطبقة البرجوازيّة.. ورأى أن هذه الطبقة سقطت، وأنها – في رأيه – قد وصلت إلى آخر مرحلة من مراحل الخواء الأخلاقي والسياسي...حتى لم يعد لدى البرجوازيّة ما تقوله عن نفسها،فهي بلا هدفٍ وبلا دورٍ تاريخيٍّ، ورأى برودون بتحليله لوضع هذه الطبقة (البرجوازيّة) أنها لا أمل لها في الحصول على السلطة سوى على الأرباح، فالبرجوازيّة لم تعد طبقة، إنها كفت عن أن تكون طبقة تنتج وتقود.ورأى أن دور البرجوازية قد انتهى.(غوروتيش،١٩٧٦،ص١٠٣) (Gurutich,1976,p103)

والجدير بالذكر أن البرجوازية Bourgeoisie هي الطبقة الوسطى. والمقصود بها:المهندسون والأطباء والملاك والتجار وأصحاب المهن الحرة –كان لها الفضل الأكبر في القضاء على النظام الإقطاعي في أوروبا.وقد سادت هذه الطبقة البرجوازية في القرن التاسع عشر من خلال تحكمها بوسائل الإنتاج. وسميت

متوسطة لأنها كانت في مكانة ما بين طبقة النبلاء،وطبقة الشعب. وهي طبقة تتصف بثقافتها التي نشأت في عصر النهضة الأوروبيّة.

رفض برودون،" الحكومة والسلطة ودعا أن تحل محلّها مجموعة من العقود بين الرجال الأحرار. كما رفض....وجود الدولة وكل ألوان السياسة وصورها وأحزابها دون استثناء".(سعد،١٩٩٠،ص٢٩٣) (Saad,1990,p293) وقد نشر بحثا في ١٨٤٠عنوانه:ما الملكية؟ أليست هي السرقة؟. ونشر عام١٨٤٦ بحثاً بعنوان:"المتناقضات الاقتصادية" أو "فلسفة البؤس"، موجهاً هجوماً مباشراً إلى نظام الملكية لأنها الدعامة الأساسية للرأسمالية.(الخشاب،١٩٨١،ص٣٣٦-٣٣٧) (AlKahashab,1981,p336-337)

وأكد"أن المجتمع سيجعل من سلطة الدولة مسألة غير ضروريّة(هامشية)، فلم يفسر وجود الدولة من خلال صراع الطبقات التي دعا إليها ماركس، بل فسرها وأرجعها إلى التنظيم الوطني الشامل للإنتاج.(جماعة من العلماء السوفيات، ١٩٩٠،ص٢٣٥) (A Group of Soviet Scientists,1990,p235)

"في بداية حياته الثورية كرّس برودون حياته لمهاجمة جميع الإقتصاديين...فكان يقول لهم مجرد رؤيتكم تثير الاشمئزاز. إذ هاجمهم كنظام إجتماعي،وكان هدفه تدعيم مركز الأسرة، والقضاء على دّخل لفرد الذي يأتي من دون عمل، لأنه يتعارض مع مبدأ تبادل الخدمات المتكافئة في المجتمع،وكان يدعو إلى الحفاظ على الملكية وحرية العمل والتبادل.(صادق،د.ت،ص ٩٤-٩٥) (Sadeq,n.d,p94-95)

إن عدم حصول الإنسان على الملكية الخاصة يجعله وغيره من الناس يعملون بشكل متواصل.ولا يمكن العيش دون عمل، ويتطلب العمل المساواة equality ...ومن يحتكر وسائل الإنتاج على أساس صناعة أوسع يدمّر المساواة بين العاملين.. فالمساواة تعبير عن الحق.وهكذا – من العمل – تتولد "الملكية الخاصة". وعندما تقع جميع الأراضي بيد عدد معين من السكان. (Proudhon,1876,p71)

وإن الأرض ورأس المال capital لا يمكن أن ينتجا في رأي برودون دون عمل ولهذا فإن المالك الذي يطالب بثمن معين مقابل إستغلال القوة الإنتاجية لأرضه يفترض لتبرير مطلبه حقيقة خاطئة وهي أن رأس المال يمكن أن ينتج شيئاً،أي أنه يطالب مقابل هذا(الشي) الوهمي بحقوق معينة ، وإن جميع المواد الأولية التي نأخذها من الطبيعة، هي بمثابة هدية منها للإنسان دون مقابل،فهذا هو المبدأ الذي يقوم عليه المجتمع.لذلك رأى برودون أن العمل ضمن النظام الرأسمالي نوع من السرقة، لذلك يعرّف برودون الملكية بالعبارة التالية:"هي حق التمتع والتصرّف فيما يخص الغير"،أي أن الرأسمالية تتحكم في نتاج صناعة غيرها.(صادق،د.ت،ص٩٢) (Sadeq,n.d,92) كما أنه رأى"أن لتقسيم العمل جانبيه الجيد والرديء.الجيد فيه أنه طريقة لتحقيق المساواة في ظروف العمل، والرديء هو أنه يزيد من الفقر ويحوّل العمل إلى نشاط روتيني ممل.أما المهمة فتكمن في إيجاد تلك العلاقة الإقتصاديّة التي يمكنها إلغاء الجوانب الرديئة من تقسيم العمل، والمحافظة على نتائجه الفاضلة في الوقت نفسه".(جماعة من العلماء السوفيات:١٩٩٠،ص235) (A Group of Soviet Scientists,1990,p235)

إن التّحوّل في الملكيّة من الملكية الإستغلاليّة على الطريقة الرأسماليّة إلى شيوعيّة الملكية الفرديّة عنده ، سيؤدّي في النهاية إلى إختفاء الطبقات الإجتماعيّة من المجتمع،ولا يوجد بعد أقوياء يسحقون الضّعفاء. ولا يوجد مجتمع فيه أقوياء وضعفاء،بل مجتمع أفراده متساوون في كل شيء في الحقوق، ومتساوون في

الواجبات، مجتمع تسود فيه العدالة الإقتصاديّة والإجتماعية، مجتمعُ خاليٌّ من الإستغلال من قبل الحكومة وأفرادها. وإن أي مجتمع يصل إلى هذه النتيجة يسمّى مجتمعاً فوضوياً، هذه هي الفوضويّة التي يسعى إليها الفوضويّون مجتمع يكون فيه أفراده أحراراً متساويين.(صادق،د.ت،ص ٨٨-٨٩) (Sadeq,n.d,p88-89)

وأخذ على عاتقه تحطيم(النظام الرأسمالي) system capitalist والملكية الخاصة التي يرتكز عليها هذا النظام. فصاحب الأرض الزراعية يستطيع بفضل(نظام الملكية الخاصة الفردية) الحصول على جزء من المحصول الذي لم يزرعه بيده، ومالك الآلات أي صاحب العمل يحصل على جزء من السلع التي لم ينتجها. ويعبّر برودون عن ذلك بعبارة معروفة وهي:" الملكية الفردية هي سرقة".وبالتالي فهو يقصد أن الملكية الفردية هي وسيلة لتحقيق السرقة، وأنه لا يقول أن الملكية الفردية بحد ذاتهاسرقة.

## حق الملكية :

نقد برودون الملكية الفردية التي تسمح للأقوياء أصحاب الملكية نفسها، تمكنهم من سحق الضعفاء، فتبنى نوعا آخر من الملكية ولكنها"تملك"وليس"ملكية"وهي أي"التملك" نوع جديد من أنواع الملكية. ويؤمن أن تكون ملكية الارض للمزارع الصغير الذي يعمل ي الأرض بنفسه أو مع عائلته دون الإلتجاء إلى الآخرين من العمال، فهو من الذين يؤكدون الملكية الفردية دون استغلال،والملكية الفرديّة تختلف عن الملكية الرأسمالية المستغلة القائمة في أوروبا وغيرها من البلدان الرأسمالية.إنه يطالب من يملك الأرض أو الآلة أن يستغلها بنفسه، وإلا ظهر عنصر الإستغلال من جديد إذا قام بتشغيل الآخرين من غير عائلته، وتتحول الملكية إلى وسيلة للسرقة أو الإستغلال.

يمكن القول حول حق التملك..أن الناس الذين يعيشون في الدولة الاشتراكية ، لا تكون فيها الثروة ملك للأفراد، أي لا تكون هنالك ملكيّة خاصة..والذي يصنع الثروة هو العامل.. ليس هناك اختلاف أن العامل سوف يكون هو المالك الوحيد للمحصول..ودون العامل لا تكون هناك ملكيّة..وهكذا فالعامل يعطي ولادة للملكية الخاصة، ولكن كيف ذلك؟بوضوح تام في الانتاج،وليس في الأرض.(Proudhon,1876,p70-71)

حلم برودون بتخليد الملكية الخاصة.واقترح تنظيم بنك"شعبي"وبنك"للتبادل"،ورأى أن العمال باستطاعتهم أن يقتنوا وسائل انتاج خاصة بهم،وبمقدورهم أن يصبحوا حرفيين ( مهنيين )،وهم الضمان الوحيد لتصريف منتجاتهم".(بونوماريوف،د.ت،ص٦٩) (Bonamayov,n.d,p69)

الملكيّة الفردية – وفقاً له – الوسيلة الوحيدة لحماية الأفراد في المجتمع. وإن تحوّل الملكية الرأسمالية إلى ملكية تخلو من عنصر السرقة ، سيؤدّي في نهاية المطاف إلى إختفاء الطبقات الإجتماعية. ويصبح أفراد المجتمع متساوون في جميع الحقوق والواجبات،ويسود العدل ،عندئذ لن يكون للحكومة التقليديّة أي دور،لأن في حقيقتها ما هي إلا وسيلة يستخدمها البعض لإستغلال الآخرين.لذلك يجب أن يكون المجتمع الجديد الفوضوي الذي يعيش فيه رجالات أحرار متساوون في الحقوق والواجبات بشكل تام، مجتمع لا تحكمه حكومة من هذا النوع. (صادق، د.ت،88 -٨٩ )(Sadeq,n.d,p88-89)

والملكية عنده بخلاف العبودية، لذلك فهو يقول في هذا الجانب الهام من أفكاره إذا كان عليّ أن أجيب عن سؤال ما هي العبودية؟ أنا أرى أن العبوديّة هي القتل، ومن السهل عليكم فهم ما أقصده،وأنا لا أحتاج إلى

وقت طويل لكي أوضح لكم أن القدرة على انتزاع فكرة ما واردة وشخصية إنسان ما هي القدرة على التحكم بتفاصيل حياته وحتى موته.(غورويتش، ١٩٧٦،ص ١١٥) (Gurutich,1976,p115)

ولنظرية " برودون عن الملكيّة دوُر إجتماعيٌّ هامُ لا يمكن التغاضي عنه،إذ هي الناتج التلقائي لأي شخص يعيش ضمن الجماعة...وهي الوسيلة الوحيدة للوقوف ضدّ تسلط الدّولة وحكامها، ورأى أنَّ كلَّ ملكيّة تقوم على الأنانيّة هي شعلة من نار،وإن نشر الملكيّة يساعد على نشر العدالة داخل المجتمع".(صادق، دت:٩٢-٩٣)(Sadeq,W.H.92-93) كما أنه رأى أن العلاقات الإجتماعية هي علاقات مستقلة عن القوى المنتجة، ويجب أن تكون هذه العلاقات مشروطة بمستوى العقل الإنساني وفهمنا وإدراكنا لجميع المقولات الإقتصادية الخالدة.(جماعة من العلماء السوفيات،١٩٩٠،ص٢٣٦) (a Group of Soviet Scientists,1990,p236)

## برودون- ممثل الإشتراكية الطوباوية:

عندما تتحول الملكية من الإستغلال الذي يسود النظام الرأسمالي، إلى ملكية بالمعنى "البرودوني" فإن عنصر السرقة يختفي، ممايؤدي الى إلى إختفاء الطبقات الاجتماعية – وبذلك يصبح المجتمع خالياً من أناس أقوياء وأناس ضعفاء ، فيسود العدل والمساواة – وفي هذه الحالة فأن"الحكومة" تصبح ليست ذات موضوع، بعد أن كانت وسيلة يستخدمها بعضهم لاستغلال الآخرين.وهذا التكوين الجديد للمجتمع،الذي يبحث فيه برودون ، هو ما يطلق عليه "المجتمع الفوضوي" Anarchist society أي المجتمع الذي لا تحكمه أي حكومة بالمعنى التقليدي المعروف ..... ورأى أن حكم الإنسان للإنسان هو استعباد،من هذه العبارة عدّ نفسه فوضويّاً،فهو لا يؤمن لا بالأحزاب ولا بالسلطة، بل أكّد على الحريّة المطلقة لجميع أفراد المجتمع. إنه فوضوي، ولكن بطريقة إيجابيّة.(أرفون،١٩٩٣ ،ص٤٩) (Arvon,1983,p49 )

ويكون المجتمع خالياً من الاستغلال عندما يتم اصلاح الملكية الفردية، والتخلص من السلطات التي تساند الملكية والملاك مما يؤدي الى التخلص من جميع المشكلات الإجتماعية، فيصبح الناس من جديد أحراراً ومتساوين في الحقوق والواجبات، وستعود إليهم "طيبتهم التقليدية"....وبالتالي ليس هناك من خوف عند برودون والفوضويين عموماً..وهو يثق بالإنسان ولا يؤمن بما يسمى"بالخطيئة الأزلية"eternal sin .التي يؤمن بها المسيحيون .

و إنتقد برودون الديالكتيك بشكلٍ عامٍ سواًء أكان الهيجلي أو الماركسي. إن الديالكتيك الذي أساسه يأتي من العمل، يصبح مأساوياً بسبب الإلزام والإجبار الذي يفرضهما"تنظيم العمل"على العامل من جهة عليا، وذلك من خلال إرادة المالكين(الإقطاعيين)أو من خلال أشخاص معزولين، أو متآلفين بين الاقطاعية والصناعية، من خلال الدولة الرأسمالية ونظامها البيروقراطي، كما أنه رأى أن من الضروري والأفضل تطبيق المنهج الجدلي الهيجلي ليس فقط على النظريات والأفكار،بل يجب أن يطبق على الواقع الاجتماعي، بطريقة جدليّة.(غوروتيش، د.ت،ص٣٣-٣٤) (Gurutich,n.d,33-34) إن مذهب برودون هذا في اعتقاده"بطبيعة الإنسان الخيرة"، يؤدي إلى حل مشكلة الإنسان،وهو هنا يتفق مع رأي روسو،أي الثقة في الإنسان.

ورأى برودون الذي يعرف عنه أنه ممثل للإشتراكية الطوباوية، أن لدى الإنسان قدرة تحدّد وجوده تحديداً شاملاً هذه القوة هي"عمله المنتج" فالعمل مصدر جميع قواه العقلية والجسدية. والمجتمعات التي سيطر عليها مرض فجعل معظم الناس مغتربين عن الوجود الحقيقي وأتاح الفرصة لقلة من الناس أن تستبد بالأكثرية من خلال الغنى والتملك دون عمل... .(الهنا،١٩٨٨،ص ١٠٤٦) (AlHana,1988,p1046)

مهما ربح الرأسمالي والغني فيه فهي خسارة للعامل لأن هذه النتيجة ستقع حتماً، ويبقى الفقير تحت رحمة الغني،في ظل أي شكل للحكومة، لأنه ليس هناك لا مساواة في المبادلات – وأن المساواة في المبادلات لا يمكن أن يكفلها إلا نظامُ إجتماعيٌّ يعترف بطابع العمل الكلي لجميع أفراد المجتمع، وستؤدي المساواة في المبادلات بالتدريج إلى انتقال الثروة من أيدي الرأسماليين الحاليين إلى أيدي الطبقات العاملة (البروليتاريا).(ماركس:٢٠٠٧،ص١١٦)(Marx,2007,116) لذلك يطلب من الطبقة أن تعي ذاتها، وأن تصيغ أيديولوجيّتها الخاصة بها، كما يدعوها إلى عمل سياسي صرف، بل وإلى العمل بإتجاه الإستيلاء على السلطة .

ورأى الفوضويّون أنه في العالم الفقير والغني، والأغنياء يعيشون في بذخ كبير بفعل سطوتهم العسكرية والمالية، أما الفقراء المدققون فيتعرضون لسوء التغذية الشديدة، بل هم يتضوّرون جوعاً، وأحياناً يعيشون على الفتات من الطعام الذي يزهد به الأغنياء.(وارد، ٢٠١٤،ص ٩٤) (Ward,2014,p94 )

آمن برودون أن الحياة الإجتماعيّة في تطوّر أبدي مستمر، وهو هنا يطبّق المنهج الجدلي الذي كان لا يؤمن به، ولكن ليس على الطريقة المثاليّة، بل دعا إلى إصلاح المجتمع للمزيد من التّقدّم والإرتقاء.فجوهر المجتمعات الحركة المستمرّة الممنهجة القائمة على المنطق. كما أنه رأى إذا ما طبق هذا المفهوم الجدلي المنطقي الإصلاحي على العمل فقد يصل إلى نتيجة في المساواة والحريّة والإبداع.كما أنه أضاف إلى هذا الأسلوب،عنصر الزمن الذي هو عنصر ضروري للتوفيق بين القوى المتصارعة المتناقضة على مسرح المجتمع وفكرة برودون كما يقول مؤرّخوه فكرة فريدة تجمع جانباً من الحقيقة ممزوجاً بجانب آخر من الخطأ.(صادق،د.ت،ص٩٠) (Sadeq, n.d ,p90)

## فلسفة البؤس :

وفي عام ١٨٤٦ نشر برودون كتابه"فلسفة البؤس" the philosophy of miser ، وقف فيه ضد الشيوعية والحركة العمالية والنضال السياسي – ونادى بالتحول السلمي للرأسمالية – وقد كان عاجزاً عن تفسير وجود الدولة من خلال صراع الطبقات المتضادة – وفي رأي ماركس أن برودون كان برجوازيا صغير وأفكاره تعبّر عن أيديولوجية إشتراكية زائفة false.(جماعة من العلماء،١٩٩٠،ص ٢٣٥– ٢٣٦) (A Group of Soviet Scientists,1990,p 235–236)

وإن اختلاف برودون مع ماركس كان شيئاً طبيعيّاً،لأن أفكار برودون عن الملكيّة هي النقيض لأفكار ماركس عنها، فـــ ماركس يدعو إلى إندماج الطبقات أما برودون فهو صاحب نظريّة الملكيّة المجزّأة. (صادق،د.ت،ص ١٠٥) (Sadeq,n.d,p105)

يستطيع الفرد في المجتمع الفوضوي فقط، أن ينمي طبيعته الكاملة وأن يحقق كل ما هو موجود فيه، بذلك يكون للفرد الحرية feedom الحقيقية لأول مرة،والتحرر من كل أنواع السلطة التي تسعى الحركة الفوضوية لتحرير الفرد منها.ويمكن إرجاع مصادر السلطة التي ستحرر الفرد إلى ثلاثة هي:

١- ستحرر الإنسان بصفته مواطناً من نير الدولة.

٢- ستحرر الإنسان بصفته"منتجاً"، من ظلم الرأسمالية.

٣- ستحرر الإنسان بصفته فرداً من الأخلاق الدينية الكنسيّة التي تتعلق بالخالق.(جود، ١٩٦٣، ص ١٣٥-١٣٦) (Jood,1963,135-136)

و رأى برودون أنهَّ لا بدَّ من إختيار التوازن بين طرفي التناقض الديالكتيكي contradiction dialectical وأنهَّ ليس هناك استحالة في وجود البرجوازيّة،بل هناك نوع من التوازن ويتحقق ذلك من خلال التعاون الطبقي، لذلك رأى أن هناك وجهاً حسناً ووجهاً سيئاً في الجدليّة، والوجه الحسن هو الوجه الثوري.(ماركس، ٢٠٠٧،ص١٦) (Marx,2007,p 16)أما ماركس قد اختلف مع برودون فطبق الديالكتيك على طبقات المجتمع والإقتصاد،وإن المجتمع والإقتصاد هما اللذان يحركان التاريخ ،أما الفوضويّون رأوا أن الفرد هو الذي يحرك عجلة التاريخ، لذلك حاولوا دائماً القضاء على أصحاب السلطات بالتغيير عبر الثورات الجماهيريّة.

والنقد ماركس و أنجلز أفكار الفوضوية ،لأن أفكارها مجرّد نظريّات طوباويّة Utopias،على الرغم من أن أفكارهم انتشرت بصورة واسعة في كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وروسيا. لم تقدم الفوضوية غير طريقةٍ، وأسلوبٍ ،ضدّ الاستغلال. وينقص هؤلاء الفهم، لأنهم ينكرون denial الصراع السياسي الموضوعي ضدّ الطبقة السياسيّة البرجوازيّة .(بونامايوف،د.ت،ص١٩) (Bonamayov,n.d,p19)"

ومن الواضح أنهَّ مهما كان شكل الحكومة الذي نريد أن نقيمه، ومهما دعونا إلى الأخلاق والحب الأخوي ،والتآلف بين أبناء االمجتمع ،فلا يمكن أن يوجد تبادل منافع حيثما توجد مبادلات غير متساوية. فعدم المساواة يعد سبباً لعدم المساواة في الملكيات هو العدو الخفي الذي يفترس الجميع. (ماركس،٢٠٠٧،ص١١٥) (Marx,2007,p115) فما كان من برودون إلاّ أن ردّ عليه فقال:أعتقد أننا لسنا في حاجة إلى ذلك للنجاح، وبالنتيجة، لا يجب علينا أن نطرح العمل الثوري كوسيلةٍ للإصلاح الإجتماعي، فتلك الوسيلة هي مجرّد دعوةٍ للجوء إلى القوة والاستبداد.(ماركس،٢٠٠٧،ص١٩) (Marx,2007,p19)

ولكن السؤال هل وصلت المجتمعات إلى هذه المرحلة التي دعت إليها هذه الحركة؟الحرية الفردية، المساواة ،العدالة،إختفاء الإستغلال؟ وهل هذا سهل المنال؟

**الخاتمة:**

حاولنا في هذا البحث التأكيد على قضية رفض السلطة في رأي الفلسفة الفوضويّة وأساليبها الثوريّة، وإنطلاقاً من الشعور الحقيقي بين إنسان يملك(سلطة ومال) ،وإنسان لا يملك شيئاً سوى(الفقر والإذلال).

- هناك خطأ كبير في الحكم على الفوضويّة،أو أن بعضهم يعُدها: مجموعات عنف فقط،على الرغم من كل تضحياتها وأهدافها الحقيقيّة.
- هؤلاء الفوضويّون كان لديهم من أفكاراً، أو أيديولوجيا أظهروها في مؤلفاتهم ، فهذا باكونين صاحب الأفكار التي جمعت في كتاب سمي(الإله والدولة) ومثله برودون في كتابه (الثروة)على سبيل المثال.
- لقد واصل الفوضويّون مهمتهم التنويريّة التي بدأوها بتوعية الناسٍ أن يعيشوا بكرامة من عبوديّة السلطة.
- لذلك نجد من هذا المنطلق نلمس حرص الفوضويين على خلق طريقٍ،وبيان أسلوب ثوريَّ لم يكن معروفاً من قبل لمحاربة السلطة (الفاسدة) ،وغير العادلة في تعاملها مع مواطنيها..من هنا كانت أساليبهم وأفكارهم تصب في هذا الطريق وهو بمثابه العلاج للتخلص من السلطة بكل أشكالها.
- كما أننا وجدنا أن الفوضويين أنطلقوا من (موقف أخلاقي) يتمثل في طلب الحرية..ثم هم سعوا إلى ذلك من أجل هدف نبيل للدفاع عن المستضعفين وتخليصهم من الظلم.
- إنهم يرون أنفسهم مقربين الى المجتمع إذا تمكنوا من القضاء على صاحب السلطة في المجتمع رفهي رأيهم أن الفرد هو الذي يحرك عجلة التاريخ بما يقوم به من إغتيالات لرؤوس السلطة.
- ليس الفوضويّون ليسوا أصحاب مبدأ واحدٍ متقاربٍ،إنَّما هم مختلفون في أهدافهم من أجل بناء مجتمعات تخلو من الظلم، والإضطهاد، ونهب الأموال من قبل السلطة،بل نجد أن هناك من رفض السلطة كليّاً مثل باكونين.
- أغلب الدراسات التي تناولت الفكر الفوضوي ركزت على جانب العنف فيه ،وتركوا الجانب الإنساني للثورة.
- يمتلك الفوضويّون جانباً إنسانياً، فهم يتعاطفون مع الفقراء والضعفاء، يؤيدون وصول لكلَّ إنسانٍ إلى العدل والحرية والمساواة .وكما أن أفكارهم الثورية الفوضوية تركت أثراً واضحاً على الحياة السياسية في تلك الحقبة، ليس فقط في روسيا فتحسب ،إنما في بقية الدول الأوروبية.

## مصادر ومراجع البحث:


- أرفون،هنري: ١٩٨٣، الفوضوية، ترجمة هنري زغيب، ط١،بيروت، منشورات عويدات.
- العقاد،عباس محمود: ١٩٧٢،العقائد والمذاهب،مجلد ١٣،بيروت،دار الكتاب اللبناني.
- الخشاب،أحمد: ١٩٨١،التفكير الاجتماعي دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية،بيروت،دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- باكونين،ميشيل:١٩٩٢،الإله والدولة،تعريب جلال المخ،سوسة،تونس،دار المعارف.
- برديائيف،نيقولا:١٩٨٦،العزلة والمجتمع،ترجمة علي أدهم،ط٢،بغداد،وزارة الثقافة.
- بحري،لؤي:١٩٦٧،دراسات في علم السياسة،بغداد،مطبعة شفيق.
- بلان،غيوم سيبرتان:٢٠١١،الفلسفة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين،ترجمة عز الدين الخطابي،ط١،بيروت،المنظمة العربية للترجمة.
- جماعة من العلماءالسوفيت:١٩٩٠،الفلسفة الماركسية في القرن التاسع عشر،ترجمة حسان حيدر،بيروت،دار الفارابي.
- جود.أ.م:١٩٦٣،النظرية السياسية،ترجمة عبد الرحمن صدقي أبو طالب،القاهرة،المؤسسة المصرية.
- سعيد،نبيل رشاد: ٢٠٠٦،الفلسفة الوجوديّة عند نيقولا برديائيف،بغداد،دار الشؤون الثقافية العامة.
- سعد،فاروق:١٩٩٠،تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده،ط ١٨، بيروت،دار الأفاق الجديدة .
- صادق،جلال حسن:دون تاريخ،قادة الفكر الاشتراكي،القاهرة،الدار القومية للطباعة والنشر.
- غيرين،دانييل: ١٩٧٥،روزا لوكسمبورغ،ترجمة ابراهيم العريس،ط١،بيروت،سلسلة أعلام الفكر.
- غوروتيش،جورج:١٩٧٦،برودون،ترجمة إبراهيم العريس،ط١،بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- لوسكي،نيقولا: ٢٠١٧،تاريخ الفلسفة الروسية،ترجمة فؤاد كامل،القاهرة،آفاق للنشر والتوزيع .
- ماركس،كارل: ٢٠٠٧،بؤس الفلسفة،ترجمة محمد مستجير،ط٣،بيروت،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- وارد،كولين: ٢٠١٤،اللاسلطوية، ترجمة مروة عبد السلام،ط١،القاهرة،مصر،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

الموسوعات والمعاجم والقواميس:

- بدوي،عبد الرحمن: ١٩٨٤،موسوعة الفلسفة، ط١،ج٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الهنا،غانم:١٩٨٨،الموسوعة الفلسفية العربية،الفوضوية،رئيس التحرير معن زيادة،م٢،ق٢ بيروت،معهد الإنماء العربي .
- المعجم الفلسفي المختصر:ترجمة توفيق سلوم ،دار التقدم،موسكو ،١٩٨٦ .
- بونامايوف،ب.ن:دت،القاموس السياسي ترجمة عبد الرزاق الصافي،دار الوطن العربي.
- وهبة،مراد: ١٩٧٩،المعجم الفلسفي،ط٣،القاهرة،دار الثقافة الجديدة.

References :

* Bakunin, M. (1973). Selected Writing , London, Edited .

*Proudon, (1876). What is Property? Translated from the French by Benj. R. Tucker, Cambridge .

*Proudon, (1867). What is Property? An inquiry into the principle of right and government, V1.

* Rosenthal, M. and Yudin, (1967). A Dictionary of philosophy. Progress publishers. Moscow.

*Wood C. George,(1971).A History of Libertarian Ideas and Movements. Penguin books, London.

*A Dictionary of philosophy:1967,byM.rosenthal and Yudin Moscow,progress publishers.

Bibliography :

1.Arvon, H.(1983).Anarchism,Translation of Henry Zgheib.1st Edition. Oweidat Publications. Beirut.

2. Akkad,A.Mahmoud,(1972).Creeds and Doctrines.Volume13.Lebanese House of Books. Beirut .

3. Al-Khashab A. (1981). Social Thinking: An Integrative Study of Social Theory. Dar AlNahda AlArabiya for Printing and Publishing. Beirut .

4. A Group of Soviet scientists,(1990).Marxist philosophy in the nineteenth century, translated by Hassan Haidar,Beirut, Dar AlFarabi.

5. Bakunin, M.(1992).God and the State, Sousse, Tunisia, Arabization of Jalal el-Brain, Dar ElMaaref.

6. Berdiyev,N. (1986). Isolation and Society. 2nd Edition. Ministry of Culture. Baghdad.

7. Bahri, L. (1967). Studies in Political Science. Shafiq Press. Baghdad.

8.Gurutich,G. (1976). M.Proudhon. 1st Edition. Arab Institute for Studies and Publishing. Beirut.

9. Gerin, D. (1975). Rosa Luxemburg. Series of Thinking flags. Beirut .

10.Lusky,N. (2017). History of Russian Philosophy. Afaq Publishing and Distribution. Cairo .

11.Marx,K. (2007). The Misery of Philosophy. 3rd Edition. Dar AlTanweer for Printing. Beirut .

12.Presence.A. (1963) . Political Theory. The Egyptian Foundation. Cairo .

13.Plan, G. (2011). Political Philosophy in the Nineteenth and Twentieth Centuries. Arab Organization for Translation. Beirut.

14. Said, N. (2006). Nicolas Berdiyev's Existential Philosophy. General Cultural Affairs House. Baghdad .

15. Saad,F. (1990).The Legacy of Political Thought Before and After the Prince. 18th Edition. New Horizons House. Beirut.

16 .Sadeq,G. Leaders of Socialist Thought. National House forPrinting and Publishing .Cairo, Undated.

17.Ward,C. (2014). Non-authoritarianism. 1st Edition. Hindawi Foundation for Education and Culture. Cairo.

Encyclopedias and Dictionares:

1. Badawi,A.( 1984).Encyclopedia of Philosophy.2nd Edition. Arab Foundation for Studies and Publishing. Beirut .
2. Bonamayov B.N:W.H. Political Dictionary. Al-Watan Al-Arabi Hous .
3. Al-Hana,G.(1988).The Arab Philosophical Encyclopedia,Anarchism. 2nd Edition. Al-Enmaa Al-Arabi House. Beirut.
4. Salloum,T. (1986). Short Philosophical Dictionary. Dar AlTakadom. Beirut .
5. Wehba,M.(1979).Philosophical Dictionary.3rd Edition.New Culture House. Cairo.